من تراب الطريق (٣٤٠) التنطع الإسرائيلى ! (*)

تأبى إسرائيل إلا أن تدس أنفها فى كل شىء ، فمرة تتحدث عن موسى بن ميمون الطبيب الفيلسوف العربى وكأنه من إسرائيل ، ومرة تتحدث عن المعابد المصرية اليهودية فى بر مصر ، وكأنها حامية حمى الدنيا والوصية على الآثار المصرية .. ثم ها هى تلاحق بدس أنفها الفنانة المصرية الراحلة ليلى مراد .. وبدلًا من أن تحيى كيف عاش اليهود عيشة راضية فى مصر عبر العصور ، منهم من أسلم بإرادته ، كليلى مراد ، ومنهم من ظل على يهوديته دون أن يضيّق عليه أحد .

بدلا من أن تحيى إسرائيل هذا الواقع المصرى ، واحتفال مصر بليلى مراد فى صورة المسلسل الذى صُنف وأنتج وعرض عن قصة حياتها ، أبت إسرائيل ـ إلاَّ أن تستأنف التنطع ، فيتصدى ناقد سينمائى إسرائيلى لانتقاد المسلسل ، ولكنه لا يقتصر على النواحى الفنية ، ولا حتى على ما أقر به من إبراز المسلسل للحياة الرغدة التى عاشتها الجالية اليهودية فى مصر ، وإنما يفتعل الأسباب للادعاء بأن اليهود كانوا جزءًا مهما من تاريخ مصر والدول العربية !

تأبى إسرائيل إلاّ أن تشد الأمور على دائرة التعصب الدينى .. لأنها

(*) المال ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٩

كائن قائم على هذه العنصرية الدينية .. وتتجاهل أهم ما فى قصة ليلى مراد وغيرها ممن ولدوا على تراب مصر ، وعاشوا تحت سمائها ، وشربوا من نيلها ، واستظلوا بظلها .. هذه هى القضية .. ليس يهم ما هى ديانة أو ماذا كانت ثم أصبحت ديانة ليلى مراد .. المهم أنها قطعة من مصر ، عاشت فى هناء وبحبوحة على ضفّتى نيلها ، وانطلقت وأبدعت وتألّقت فى باحة مناخها .. فى واحةٍ تُساوى بين الناس ، ولا تتوقف عند الأعراق والعصبيات .. لم تلفظ هذه الواحة أحدًا من باحتها لدين أو لعرق .. فى موروثها التاريخى مئات من الأمثلة التى صبت فى المساواة والإسماح .. يتسامعون قصة الفاروق عمر حين صادف شيخا يهوديا ضريرا يتكفف الناس ، فأخذه بيده إلى بيت المال يقول لعامله عليه : «انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم» !

فى هذه الواحة الوارفة ، وهذا هو المعنى الحقيقى الذى يجب الوقوف عنده ، تألقت نجوم فى الحكمة والطب والفلسفة والأدب والفن .. منهم المسلم ومنهم النصرانى ومنهم اليهودى .. لم تغلق باحة المساواة بابها فى وجه أحد لعرقه أو لدينه .. نبغ فى هذا المناخ اليهود والنصارى كما نبغ المسلمون ، وامتلأت مصر والأقطار العربية بالأطباء النصارى الذين نبغوا فيها ومنهم من شق طريقه إلى العالمية .. لم يقل الدكتور العبقرى مجدى يعقوب إنه قبطى أو نصرانى ، وإنما هو الطبيب المصرى ابن مصر البار الذى شف عن حنين جارف إلى الوطن يدفعه كل يوم لتقديم حصاد عبقريته لمصر والمصريين .

هذه هى القيمة التى يجب استخلاصها من حياة وسيرة ومسيرة ليلى مراد ، وزكى مراد ، ومنير مراد .. وهى هى التى يجب استخلاصها من تعيين موسى قطاوى باشا ـ المصرى اليهودى وزيرا للمالية فى القرن الماضى ! ومن عشرات الأمثلة لما نعم به اليهود فى بر مصر .

المشكلة أن إسرائيل تأبى إلاّ أن ترد الأمور إلى العنصرية البغيضة ، فتتنادى بيهودية الدولة التى أقامتها على الوطن الفلسطينى المغتصب .. هذه العنصرية التى تتمسك بها إسرائيل هى باب جهنم للعالم كلّه .. لو حذت دول العالم حذوها ، لانشطرت البلدان إلى إسلامية ومسيحية ويهودية .. فلكل فعل رد فعل مضاد له فى الاتجاه .. ولن يدوم مشهد التمسك بيهودية الدولة طويلا دون أن يحرك الحساسيات ويثير الاحتقانات ويحيى العصبيات ويشد إلى التطرف .. ويقيم حربًا ضروسًا بين الأديان !

هذه هى حقيقة الحصاد المرّ للعرقية والعنصرية الصهيونية الإسرائيلية !

*****